مَعَالِمُ الشَّخْصِيَّةِ
بَيْنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَعِلْمِ النَّفْسِ

الشيخ الدكتور هاشم أبو خمسين

الأحساء- المملكة العربية السعودية

فحوى البحث

يقول السيد الباحث في مقدمة بحثه أن هذا البحث قد ولد بسبب الحاجة العلمية لمعرفة مفهوم الشخصية في القرآن الكريم.

فالبحث دراسة موضوعية تفسيرية هدفها معرفة مفهوم الشخصية وما يدور حولها من أحكام وأنماط والمريض منها والسليم، من وجهة نظر القرآن الكريم استناداً الى مفاهيم علم النفس. وبالتالي فهو من نوع الدراسات الدينية المقارنة بين العلوم النفسية والقرآن الكريم.

جاء البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وقد حذفنا قائمة المصادر لعدم الحاجة اليها.

المقدمة:

لقد ولد هـذا البحـث نتيجة الحاجة العلميـة للتعرف على مفهوم الشـخصية في القـران او عنـد المفسريـن. ومفهـوم الشـخصية قـد يدرس مـن زوايا شـتى لكننـا حددنـا المعنى النفسي لـه وحاولنا البحث عن الآيات التي تشـير الى مفهوم الشـخصية النفسي وبحثنا عـن معانيها من خلال سـبر المأثور التفسـيري لعلماء الاسـلام، فالبحث الذي بين يدك عبارة عن دراسـة تفسـيرية موضوعيـة هدفها معرفـة مفهـوم الشـخصية ومـا يـدور حولهـا من احكام وانـماط والمريض منها والسـليم في المنظور القرآني، ويستند هذا البحث على مفاهيم محددة في علم النفس وعلم النفس الشـخصية بالذات وبالتالي فهومن نـوع الدراسـات البينيـة المقارنة بـين العلوم مـن جهـة والقـران الكريم مـن جهـة اخـرى. فالسـؤال الاصـلي لهـذا البحث هـو (ما هـي المعـالم العامة للشـخصية في القـران الكريم) واسـتند الى اصول مسـلّمة علمية وهي عبارة عن تعريـف علم النفـس لمفهوم الشـخصية وفرضيات منها: ان القران الكريم كتاب تربوي وان آياته اشـارت الى الشـخصية وانماطهـاوبعـض خصوصياتهـا.

فكان البحث عبارة عن مقدمة قصيرة والمبحث الاول والذي هو تحت عنوان (الشخصية في علـــم النفس) والمبحث الثاني والذي هو تحت عنوان (الشخصية في القران الكريم) وخاتمة مقتضبة.

المبحث الاول:

الشخصية في علم النفس:

تمهيد:

احتلت الشخصيـــــة مكانة مهمة في الـدراسـات النفسية خلال السنوات الأربعين الأخيرة.

اذ يظهر الشخص ناميًا متطورًا، من جهة، ويظهر من جهة أخرى، ثابتًا نوعًا من الثبات في مواقفه واتجاهاتـــه .يبدو متفرّدًا متميزًا عن غيره، من جهة، ومشابها غيره، من جهة أخرى .وهو كلٌّ موحّد، أو وحدة متكاملة، من طرف، ولكنه يُرى ويبحث في عدد من الجوانب والجهات المتمايزة من طرف آخر فكيف نعرّف هذا التركيب الذي يبدو من خلال هذه الزوايا

المتعددة؟[1].

تعريف الشخصية:

من الجهة اللغوية لايوجد تعريف لكلمة الشخصية بهذه الهيئة، لكننا نحاول التعرض الى ما ذكروه في تعريفها:

التعريف اللغوي:

ذكر اهـــل اللغة اقوالا في تعريف لمادتها، نذكر منهم ما يلي:

اولا: احمد ابن فارس: «الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في شـيء، مـن ذلـك الشخص، وهـو سـواد الإنسان إذا سما لك من بعد، ثم يحمل على ذلك، فيقال: شخص من بلد إلى بلد»[2].

ثانيـــا: ابن منظور: «الشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول: ثلاثة أشخص، وكل شيء رأيت جسمانه، فقد رأيت شخصه، والشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به: إثبات الذات، فاستعير لها لفظ الشخص، والشخيص: العظيم الشخص، والأنثى شخيصه، وقيل شخيص: إذا كان ذا شخص وخلق عظيم بين الشخاصة، والشخوص: ضد الهبوط، وشخص السهم يشخص شخوصا فهو شاخص: علا الهدف...»[3].

التعريف الاصطلاحي:

فلابد هنا ان نوضـح بعض الامور قبـل سرد التعـــاريف واختيـــــار احدها، منها ان تعريفات علماء النفس للشخصية-والتي تشتمـــل على تعريف بيلوجي اجتمـــاعي وتعريف بيلوجي فيزيقي تجميعي وتعريف تكاملي -نتيجة لوجهة نظر كل منظّر في بنية الشخصية الانسانية ووظيفتها[4].

ولقد بدأ الاطباء الاغريق الاوائل في القرن الخامس قبل الميلاد بتقسيم الناس

(١) السـلـوم، عبـد الحـكيـم، مقـالـة "انماط الشخصية"، مجلة النبأ، العدد ٥٤ ذو القعدة ١٤٢١هـ.

(٢) ابـن فـارس: أحمـد بـن فـارس بـن زكريا ت(٣٩٥)، معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٢٥٤ مادة (شخص) الدار الإسلامية، ١٤١٠/ ١٩٩٠ تحقيق وضبط: عبد السلام هارون.

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ٧/ ٤٥ مادة (شخص)، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(٤) جابر عبد الحميد جابر، نظريات الشخصية، ص١١، دار النهضـــة العربية، ١٩٩٠، القاهرة.

على اساس الخصائص الانفعالية والمزاجية الى اربعة اصناف واسعة... فقال ارسطو فبحسب غلبة نوع السائل في الجسم تتعين الشخصية، فان كان الدم هو الاغلب كان الشخص متفائلا ونشطا ومفعم بالأمل. وان كان السائل الاغلب هو الصفراء كان الفرد حاد المزاج سريع الغضب، وان كان البلغم كان بليدا وهادئا وكسولا وراكداً، واما اذا غلبت عليه السوداء كان حزينا متشائما.

بينما نجد من حاول تحديد الشخصية على اساس التكوين الجسمي مثل الطبيب الالماني ارنست فقال من كان بدينا فهو قصير ممتلئ الصدر وشعبي، واما النحيل فهو ضعيف طويل وحساس، والرياضي يكون شخصا قويا، اما المشوه البنية فيكون مختلط السمات.

وقدم الجراح الامريكي شلدن رؤية اخرى عن تقسيم الشخصيات بحسب التركيب الطبيعي للجسم: فقال ان الانسان الحشوي (ناعم مستدير) يكون اجتماعياً منبسطاً يألف ويؤلف ويحب الراحة الجسمية. والانسان العظمي (عضلي وقوي) يكون حيويا ونشطا ويحب المغامرات، واما الانسان الرخو (النحيف الطويل) تجده متخوفا يحب الفن مكبوتاً ومنطوياً على نفسه.

كما قسم الفيلسوف الالماني سبرنجر الناس على اساس الرغبات، فالانسان النظري هو من يتحاشى المشاركات والحياة الاجتماعية والسياسية. والانسان الاقتصادي نراه مهتما بجمع المال وهكذا[٥].

والمقصود بالشخصية عند علماء النفس والتربية:

١. عرفت الشخصية بأنها: النظام المتكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية التي تحدد ذاتية الفرد وتميزه عن غيره[٦].

٢. تعريف مورتن برنس: «الشخصية هي المجموع الكلي لما لدى الفرد

(٥) الجبوري، محمد محمود، الشخصية في ضوء علم النفس، ص٢٢ -٢٣، مطبعة دار الحكمة، ١٩٩٠، بغداد.

(٦) فرغل، يحيى هاشم حسن، معالم شخصية المسلم، ص٧، المكتبة العصرية، بيروت.

من استعدادات بيولوجية موروثة ودفعات ونزعات وغرائز وشهوات، بالإضافة الى النزعات والاستعدادات المكتسبة» ويركز هذا التعريف على الجوانب الداخلية والمفاهيم الدينامية للشخصية.

٣. تعريف روباك: «الشخصية هي مجموع استعداداتنا المعرفية والانفعالية والنزوعية».

٤. جوردن البورت :الشخصية هى التنظيم الدينامي داخل الفرد، لتلك الأجهزة النفسية الجسمية التي يحدد طابعه الخاص في توافقه لبيئته.

٥. تعريف جلفورد: شخصية الفرد هي ذلك النموذج الفريد الذي تتكون منه سماته.

٦. تعريف ستاجنر: «الشخصية هي ذلك التنظيم داخل الفرد لتلك الأجهزة الادراكية والمعرفية والانفعالية والدافعية، والتي تحدد استجاباته الفريدة لبيئته».

٧. تعريف أيزنك: الشخصية هي ذلك التنظيم الثابت والدائم الى حدما، لطباع الفرد ومزاجه وعقله وبنية جسمه، والذي يحدد توافقه الفريد لبيئته[٧].

وقد يعبر عن الشخصية باصطلاح آخر وهو الطبع، ويعرف «لوسين» الطبع بقوله: (هو مجموعة الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسي للإنسان ويعني بالاستعدادات الفطرية: تلك التي ولدت مع الأنسان بخلاف المكتسبات والمتغيرات.

إن الإنسان بجوانبه المختلفة يحمل صفات ثابتة تمثل هويته وبصمته الخاصة[٨].

المبحث الثاني:

الشخصية في القرآن الكريم:

أنماط الشخصية في القران الكريم:

تمهيد:

النون والميم والطاء كلمةٌ تدلُّ على

(٧) البادي، عائشة بنت سعيد، بعض سمات الشخصية وعلاقتها بفاعلية الذات، ص١٧-٢٠، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، كلية العلوم، ٢٠١٤، سلطنة عمان.

(٨) نقلا عن الكبيسي، محمد عياش، انماط الشخصية، ص، ٢٦ دار اسامة للنشر، الاردن، ٢٠١٠ م.

اجتماع. والنَّمَط: جماعةٌ من الناس[٩].

و قد عرف نمط الشخصية بأنه: سمة ملحوظة من السمات وهو نوع من التنظيم اكثر عمومية وشمولا[١٠]، او هي تجمع للصفات المتشابهة التي تكونت في مستهل حياة الفرد ولا تخضع لتغيير كبير، وهو بذلك يدل على جوهر الشخص[١١]. وبالتالي فهو ذلك التجمع القوي او الطيف الاقوى لشكل او طريقة من التصرفات بحيث يبرز كهوية للشخص.

يمكن تقسيم انماط الشخصية على اساس اطباع الانسان الى ثمانية انماط، حيث ان نمط كل شخصية يتحدد من خلال الدرجات التي حصل عليها الشخص في (الانفعالية) و(الفعالية) و(الترجيح) وبتزاوج تلك الطباع تنتج الشخصيات التالية: الشخصية الجموحة، والغضبية والعاطفية والعصبية والمفاوية والدموية الخاملة[١٢].

وقسمها اخرون وبحسب مركز الشخصية الثلاث الى الشخصية المساعدة والمنجزة والمتفردة والباحثة والمخلصة ولمتحمسة والمتحدية وصانعة السلام[١٣].

وعليه فأننا اذا اردنا التفتيش في القران الكريم عن ذلك الشئ في الشخصيات القرانية في طيّ الايات الكريمة من خلال تتبع سلوكياتها سنجد انماطا متعددة من الشخصيات التي اشار اليها القران الكريم.. منها ما يلي:

اولا: الشحيح:

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، [سورة الحشر: ٩] والشّح أشد من البخل، والشّح بخل مع حرص، والشح فى الآية

(٩) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة «نمط».

(١٠) التعريف لايزنك نقلا عن الازيرجاوي، احمد عبدالحسين، قلق الموت وعلاقته بنمط الشخصية ص٢٢، كلية الآداب بغداد.

(١١) العناتي، حنان عبد الحميد، الصحة النفسية، ص٧٢، دار الفكر للطباعة والنشر، الاردن، ٢٠٠٠م.

(١٢) الكبيسي، محمد عياش، انماط الشخصية واشكال القيادة، دار اسامة للنشر والتوزيع ٢٠١٠ الاردن.

(١٣) قام بذلك التقسيم العالم النفسي رسيو، محمد شحاته ابو السل، انماط الشخصية لدى جامعة دمشق، مجلة ماجعة دمشق، ج٣٠، ٦٢٨، العدد الاول ٢٠١٤.

أن تؤثر نفسك على أخيك، والشح من مصطلحات الطب النفسى، والشحيح نمط من أنماط الشخصية[١٤].

ثانيا: الممترين: (الشخصية الشكاكية) من أنماط سمات الشخصية:

و الفرق بين المراء والجدل، أن المراء فى الباطل، والجدل فى الحق، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾[سورة الشورى: ١٨]، وقوله: ﴿تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[سورة العنكبوت: ٤٦]. والامتراء من أنماط سمات الشخصية، وهو اصطلاح قرآنى خالص أشدّ من اصطلاح «الشك»، وهذا الأخير من مصطلحات علم النفس والطب النفسى والفلسفة الغربية، وسمة الامتراء أكبر من سمة الشك، لأن الامتراء فيه شك ويستتبع الجدل. وأصل الامتراء: أنه المسح على ضرع البهيمة استدرارا للبن، والممترى لذلك: هو الذى يظل يعالج فى المسألة ليفيد من ذلك استخراج ما يقوّى شكه ودفوعه لإثبات هذا الشك[١٥].

ثالثا: (المسرف):

الإسراف: هو التبذير، وقد نهى اللّه تعالى عنه فقال: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾[سورة الأعراف: ٣١]، فما جاوز الحدّ والاعتدال فهو سرف وإسراف، ومن كان معه جنية فأنفقه فى سبيل اللّه كان مسرفا، ومنه قوله تعالى: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُم بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾[سورة يس: ١٩]. والإسراف رذيلة فمهم ليسرف في الكذب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾[سورة غافر: ٢٨]، و منهم ليسرف في الشك: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾[سورة غافر: ٣٤]، وكان فرعون موسى مثلا قرآنيا لهذا النمط المسرف من أنماط الشخصية المريضة: ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[سورة يونس: ٨٣]، وعلوّه ترفّع عن عباد اللّه، وكان مسرفا فى ترفّعه

(١٤) موسوعة القرآن العظيم ج١ ٧٢٠ ٦٤١. سورة الحشر ص: ٧١٦.

(١٥) موسوعة القرآن العظيم ج٢ ١٦١٥ ١٢٦٥ (المراء والممترون) ص: ١٦١٦.

واستكباره واستعلائه[١٦].

رابعـــــا: (الصمم والبكم والعمى النفسى):

الصمّ والبكم والعمى: هؤلاء ثلاثة أنماط من أنماط الشخصية فى القرآن، والأصم: هو الذى انسدت خروق مسامعه؛ والأبكم: الأخرس بيّن الخرس والبكم، والأعمى هو ذاهب البصر؛ وفى الآية: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٨]: أن صمم هؤلاء وبكمهم وعماهم هو: صمم نفسي، وبكم نفسي، وعمى نفسي، وفى الاصطلاح يقال صمم نفسي المنشأ psychogenic deafness، أى أنه ظاهرة مرضية نفسية وليست عضوية، والمرضى بالأمراض نفسية المنشأ يتداعون بها لعجز عن احتمال مواقفهم، أو لهوى فى نفوسهم فلا يريدون أن يروا الحق أو يسمعوا به، فيفقدون أسماعهم وأبصارهم وقدراتهم على الكلام. وفى القرآن يأتى عن ذلك اثنتى عشرة مرة، وفى الآية لم تنف الإدراكات عن حواسهم جملة وإنما الغرض نفيها عن رؤية أو سماع أو التحدّث بالحق؛ وقوله «لا يرجعون» يعنى إلى الحق، وفى الآية: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧١] لأن من أصمّ أذنيه، وأعمى عينيه، وأبكم فمه، لن يعقل من أى أمر شيئا، ويصفهم القرآن يقول: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة الأنفال: ٢٢]، فجعلهم كالدواب، أى الحيوانات، وزاد فقال فيهم إنهم من شرّ الدواب، وفى آية أخرى حدّد شرّ الدواب فقال: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[سورة الأنفال: ٥٥] ويوم القيامة يحشرون كما كانوا فى الدنيا ﴿ عُمۡيًا وَبُكۡمًا وَصُمّٗا ﴾[سورة الإسراء: ٩٧][١٧].

خامسا: (الهمزة واللمزة):

الهمزة واللّمزة: نمطان من الأنماط النفسية للشخصية، ينفرد بهما القرآن ضمن ما نسميه بعلم النفس الإسلامى، يقول تعالى ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ [سورة الهمزة: ١]؛ والهمزة: الفتّان؛

(١٦) موسوعة القرآن العظيم ج٢ ص: ١٥٤٥.

(١٧) موسوعة القرآن العظيم ج٢ ص: ١٧٨٠.

واللمزة، العيّاب؛ أو أن الهمزة: الذى يغتاب ويطعن الناس فى وجوههم، واللمزة: الذى يغتابهم من خلفهم، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [سورة التوبة: ٥٨]. وقيل إن الهمزة: الطعّان فى الناس، واللّمزة: الطعّان فى أنسابهم. والهمزة والهامز أيضا: الذى يزغدنا باليد، يعنى بالدفع؛ واللّمزة: يزغد باللسان، يعنى يسيء به. وقيل: الهمّاز: باللسان؛ واللمّاز: بالعينين، أو بالعينين والحاجبين [١٨].

سادسا: (المخادع يخدع نفسه):

من أنماط الشخصية فى القرآن نمط المخادع، وأصل الخداع فى كلام العرب الفساد، والمخادع فى الدين يخدع الرسول، ويخدع الله والمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة الأنفال: ٦٢]، وقوله: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٩]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء: ١٤٥]، وخداعهم لله ولرسوله وللمؤمنين بإظهار الإيمان خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليحقنوا دماءهم وأموالهم، ويظنوا أنهم نجوا وخدعوا، وهم فى الحقيقة أفسدوا إيمانهم وأعمالهم بالرياء، والمراءاة هى الإخفاء [١٩].

سابعا: الشخصية الاعتمادية:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾ [سورة النحل: ٧٩]، اي: ثقيل [٢٠]، وعيال على من يلي ويدبر أمره فهو لا يستطيع أن يدبر أمر نفسه [٢١]، فهو يعتمد عليه في كل الأشياء [٢٢].

ثامنا: الشخصية المتحدية الشجاعة:

التي تصارع اشياء كبيرة جسيمة وشبه مستحيلة، ما تشير الايات الى شخصية موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ

(١٨) موسوعة القرآن العظيم، ج٢، ص١٧٨٦.

(١٩) موسوعة القرآن العظيم، ج٢، ص١٧٨٦.
(٢٠) الجديد في التفسير، ج٤، ص٢٤٥.
(٢١) الطباطبائي، الميزان، ج١٢، ص٣٠١.
(٢٢) فضل الله، محمد حسين، من وحي القران، ج١٣، ص٢٦٦.

ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ ﴾ [سورة المائدة، ٢٠ -٢٢].

تاسعا: الشخصية العاطفية:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سورة يوسف: ٣٠].

عاشر: الطاعة:

﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾ [سورة ص: ٢٣].

المستضعفون والمستكبرون من أنماط الشخصية:

كما نلاحظ ان الناس صنفان في الحق اي في معرفة الطريق والدليل والهداية: إما مستضعفون وإما مستكبرون، ويوم القيامة يبرزون لله جميعا، يقول المستضعفون للمستكبرين: ﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ ﴾[سورة ابراهيم: ٢١].

وحدة الشخصية:

يقول الشيخ مكارم الشيرازي في متابعته لتفسير قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ [سورة الاحزاب: ٤]، من المسلّم أنّ شخصيّة الإنسان السليم شخصية واحدة، وخطّه الفكري واحد، ويجب أن يكون واحدا في وحدته واختلاطه بالمجتمع، في الظاهر والباطن، في الداخل والخارج، وفي الفكر والعمل، فإنّ كلّ نوع من أنواع النفاق أز ازدواج الشخصية أمر مفروض على الإنسان وعلى خلاف طبيعته.

إنّ الإنسان بحكم امتلاكه قلبا واحدا يجب أن يكون له كيان عاطفي واحد، وأن يخضع لقانون واحد.

ولا يدخل قلبه إلّا حبّ معشوق واحد.

ويسلك طريقا معيّنا في حياته، بأن يتآلف مع فريق واحد، ومجتمع واحد، وإلّا فإنّ التعدّد والتشتّت والطرق المختلفة والأهداف المتفرّقة ستقوده إلى اللاهدفية والانحراف عن المسير التوحيدي

الفطري[٢٣].

قد تكون للمجتمع شخصية واحدة؛وهذا حال أجزاء الإنسان وهي تسير سيرا واحدا اجتماعيا، وفي حكمه حال أفراد مجتمع إنساني إذا تفكروا تفكرا اجتماعيا فصلاحهم وتقواهم أو فسادهم وإجرامهم وإحسانهم وإساءتهم إنما هي ما لمجتمعهم من هذه الأوصاف إذا أخذ ذا شخصية واحدة وهكذا صنع القرآن في قضائه على الأمم والأقوام التي ألجأتهم التعصبات المذهبية أو القومية أن يتفكروا تفكرا اجتماعيا كاليهود والأعراب وعدة من الأمم السالفة فتراه يؤاخذ اللاحقين بذنوب السابقين، ويعاتب الحاضرين ويوبخهم بأعمال الغائبين والماضين كل ذلك لأنه القضاء الحق فيمن يتفكر فكرا اجتماعيا[٢٤].

الشخصية في الآيات القرآنية:

تمهيد:

اذا فتشنا في الاصطلاحات القرآنية لنجد اصطلاحا قريبا من اصطلاح الشخصية او يرادفه فقد نجد اصطلاح «النفس» كما في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾[سورة الفجر: ٢٧] الذي يشير الى روح الانسان احيانا والى الانسان اخرى كذلك.

تناسب الجزاء مع شخصية الافراد:

فقد اشار القران الكريم الى امكانية مضاعفة الثواب والعقاب بحسب عُظم وحجم الشخصية، ونعرض لكم هنا مثالين:

١. قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾[سورة الاحزاب: ٣١]، إنّ هذه الآيات وإن كانت تتحدّث عن نساء النّبي بأنّهنّ إن أطعن اللّه فلهنّ أجر مضاعف، وإن ارتكبن ذنبا مبيّنا فلهنّ عذاب الضعف بما اكتسبن، إلّا أنّ الملاك والمعيار الأصلي لما كان امتلاك المقام والمكانة المرموقة، والشخصية الاجتماعية البارزة، فإنّ هذا الحكم صادق في حقّ الأفراد الآخرين الذين لهم مكانة ومركز

(٢٣) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٣، ص: ١٦١.
(٢٤) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص: ١٠٦.

اجتماعي مهمّ[٢٥].

٢. قال تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [سورة الاسراء: ٧٥]، فمن الواضح أنّه كلما زاد مقام الإنسان من حيث العلم والوعي والمعرفة والإيمان، ازدادت قيمة وعمق الأعمال الخيرة التي يقوم بها، وبدرجة نسبة الوعي العلم والمعرفة، وطبعا سيكون ثوابها أكثر، لذا فإنّنا نقرأ في بعض الرّوايات، فعن سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فُلَانٌ مِنْ عِبَادَتِهِ ودِينِهِ وفَضْلِهِ فَقَالَ: «كَيْفَ عَقْلُهُ» قُلْتُ لَا أَدْرِي فَقَالَ: «إِنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ»[٢٦].

أمّا الثواب والعقاب فسوف يزداد تبعا لهذه النسبة، فإذا ارتكب إنسان أمّي وضعيف الإيمان ذنبا كبيرا، فهذا ليس بالأمر العجيب، ولهذا السبب سيكون جزاؤه أخف، أمّا إذا قام عالم مؤمن بارتكاب ذنب صغير فإنّ جزاءه في مقابل ذلك سيكون أشد من جزاء الأمي في قبال ذنبه الكبير.

لهذا السبب بالذات نقرأ في الآيتين (٣٠ -٣١) من سورة الأحزاب خطابا بهذا المضمون إلى نساء النّبي صلى الله عليه وآله حيث يقول تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾. وفي الرّوايات نقرأ هذا المفهوم: «يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

هذه الآيات تشير إلى هذه الحقيقة، فهي تقول للرسول صلى الله عليه وآله: إذا أظهرت ميلا (وحاشاه) نحو الشرك والمشركين فإنّ عقابك سيتضاعف في هذه الدنيا وفي الآخر[٢٧]. وما ذلك الا لما له من عظيم الشخصية وانعكاسها.

(٢٥) مكارم الشيرازي، الامثل، ج ١٣، ص٢٣١.

(٢٦) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، كتاب العقل والجهل، ح ٨.

(٢٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٩، ص: ٧٨.

ملاحظات قرانيــة حول الشخصية والسلوك الفردي:

اولا: علاقة الاعمال بالشخصية:

يـقـول الـعـلامـة الـطـبـاطـبـائـي في تفسيرقوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [سورة الاسراء: ٨٤]، أن للإنسان شاكلة بعد شاكلة فشاكلة يهيؤها نـوع خلقته وخصوصية تركيب بنيته، وهي شخصية خلقية متحصلة من تفاعل جهازاته البدنية بعضها مع بعض كالمزاج الذي هو كيفية متوسطـــة حاصلة من تفاعل الكيفيات المتضادة بعضها في بعض.

و شاكلة أخرى ثانية وهي شخصية خلقية متحصلة من وجوه تأثير العوامل الخارجية في النفس الإنسانية على ما فيها من الشاكلة الأولى إن كانت.

والإنـسـان على أي شاكلة متحصلة وعـلى أي نعت نفساني وفعلية داخلية روحية كان فإن عمله يجري عليها وأفعاله تمثلها وتحكيها كما أن المتكبر المختال يلوح حاله في تكلمه وسكوته وقيامه وقعوده وحركته وسكـونـه، والـذلـيـل المسكين ظاهر الذلة والمسكنة في جميع أعماله وكذا الشجـــــاع والجبان والسخي والبخيل والصبور والوقـــــور والعجول وهكذا: وكيف لا والفعل يمثل فاعله والظاهر عنوان الباطن والصورة دليل المعنى.

فقال: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ أي إن أعمالكم تصدر على طبق ما عندكم من الشاكلة والفعلية الموجودة فمن كانت عنده شاكلة عادلة سهل اهتداؤه إلى كلمة الحق والعمـــل الصالح وانتفع بالدعوة الحقـة، ومـن كانت عنده شاكلة ظالمة صعب عليه التلبس بالقول الحق والعمل الصالح ولم يزد من استماع الدعوة الحقة إلا خسارا، والله الذي هو ربكم العليم بسرائركم المدبر لأمركم أعلم بمن عنده شاكلة عادلة وهو أهدى سبيلا وأقرب إلى الانتفاع بكلمة الحق، والذي علمه وأخبر به أن المؤمنين أهدى سبيلا فيختص بهم الشفاء والرحمة بالقرآن الذي ينزله، ولا يبقى للكافرين أهل الظلم إلا مزيد الخسار إلا أن ينتزعوا عن ظلمهم فينتفعوا به.

و مـن هنا تظهر النكتة في التعبير بصيغة التفضيل في قوله: «أَهْدى سَبِيلًا»

وذلك لما تقدم أن الشاكلة غير ملزمة في الدعوة إلى ما يلائمها فالشاكلة الظالمة وإن كانت مضلة داعية إلى العمل الطالح غير أنها لا تحتم الضلال ففيها أثر من الهدى وإن كان ضعيفا، والشاكلة العادلة أهدى منها فافهم. وقد عرفت أن الآية إنما تتعرض لحال الإنسان بعد حصول شاكلته وشخصيته الخلقية الحاصلة من مجموع غرائزه والعوامل الخارجية الفاعلة فيه الداعية إلى نوع من العمل دعوة على نحو الاقتضاء فتبصر[٢٨].

ثانيا: ازدواجية الشخصية:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٤].

تعريف ازدواجية الشخصية:

هو تعدد الذوات الانشقاقي أو تعدد الشخصية الانشقاقي؛ حيث أنه قد يكون هناك أكثر من شخصيتين منفصلتين عن الشخصية الأساسية فليس الازدواج اسماً دقيقاً حيث يعبر عن وجود شخصيتين فقط وهذا الاسم لا يناسب كل الأحوال. فالاسم الدقيق هو إنشقاق الشخصية أو تعدد الشخصية. هناك من يسميه «اضطراب الهوية الانشطاري» يملك المصاب به هويتين أو شخصيتين -وقد يصل العدد الى العشرات!. لكل واحدة أسلوبها الخاص بها في السلوك والادراك والتفكير والتاريخ الشخصي والعلاقة بالآخرين[٢٩].

واما تعريف ازدواجية الشخصية عند المفسرين فقد يعرفها المفسرون- مستنطقين بذلك ايات القران الكريم- بأنها: إن هذا الكائن [الانسان] مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه)[٣٠] مزود باستعدادات متساوية للخير

(٢٨) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص: ١٩، مع التلخيص.

(٢٩) ياسر عبد القوي، ازدواج الشخصية، ص٥، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

(٣٠) مضمون الايات الكريمة: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾، [سورة السجدة: ٧-٩].

والـشر، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[سورة الشمس: ٧-٨]، والرسالات والتوجيهـات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك. ولكنها لا تخلقها خلقا. لأنها مخلوقة فطرة، وكائنة طبعا، وكامنة إلهاما[٣١].

ونرى ان القران الكريم اشار بعض الايـات الى هكذا نوع من الشخصيات المزدوجة وبحسب التعريف العلمي، حيث يصنفه نوع من الخسران والضياع.

يقول الشيخ المفسر مكارم الشيرازي: أليس من السفاهة أن لا يضع الإنسان لحياته خطا معينا، ويبقى يتلوّن بألوان مختلفة؟. أليس من السفـاهة أن يضيّع الإنسان وحدة شخصيتـه، ويتجه نحو ازدواجية الشخصية وتعدّد الشخصيات في ذاتـه، ويهدر بذلك طاقاته على طريق التذبذب والتـآمر والتخريب، وهو مع ذلـك يعتقد برجاحة عقله؟!. العلامة الثالثة لهؤلاء، هي تلوّنهم بألوان معينة تبعا لما تفرضه عليهم مصالحهم، فهم انتهازيون يظهرون الولاء للمؤمنين ولأعدائهم من الشياطين قـال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[سورة البقرة: ١٤][٣٢].

ولا يتم ويكتمل الإيمان إلا بوحدانية الشخصية الايمانية واتحـادهـا، بحيث يتطابق العمل والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمـر والتسليم لهـم، قـال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ثالثا: علاقة الشخصية بالمال:

لا شكّ أنّ كلّ إنسان يرغب بفطرته أن يكون ذا قيمة وافتخار، ولذلك فهو يسعى بجميع وجوده لكسب القيم. فجماعة ترى بأن قيمتها الواقعية في الانتساب إلى القبيلة المعروفة وجماعة أخرى تعوّل على مسألة المال والثروة، فتعدّها دليلا على القيمة

(٣١) سيد قطب الشاذلي، في ظلال القرآن، ج٦، ص: ٣٩١٨ (مع التلخيص).

(٣٢) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١، ص: ٩٦.

الشخصيّة [٣٣].

و العطاء، أحد عناصر الشخصية الإسلامية، ونموذج حيّ للبرّ العملي، ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾[سورة البقرة: ١٧٧] فإذا كان الإنسان يملك المال، فإن الإسلام يعتبر الملكية وظيفة ومسئولية، لا امتيازا وشرفا ذاتيا، ولذلك جعل العطاء سرّ الشخصية لأنه يعني انفتاحها على آلام الحياة[٣٤].

يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[سورة الانفال: ٢٨].

و كلمة «فتنة» هنا بمعنى اداة الاختبار والامتحان، والحقيقة أنّ أهم اداة لامتحان الإيمان والكفر والشخصية وفقدانها، وميزان القيم الإنسانية للأفراد هو هذان الموضوعان (المال والأولاد)[٣٥].

وقضية قارون مثال على تأثر الشخصية بالمال، اذ نصحه قومه فقالوا له﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص: ٧٦-٧٧].

فأجابهم قارون: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ ﴾[سورة القصص: ٧٨]، ولابعلم قد يكون علم الكيماء او علم التجارة، اجابهم بتلك الحالة من الغرور والتكبر الناشئة من ثروته الكبيرة، وقالَ: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾.

هذا لا يتعلق بكم، وليس لكم حق أن ترشدوني إلى كيفية التصرف بمالي، فقد أوجدته بعلمي واطلاعي[٣٦]. قد جاء هذا الفصل ليصوّر للناس بعض ملامح هذه الشخصية المالية المغرورة ومفاهيمها في الحياة، ونظرة الناس إليه[٣٧].

(٣٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٦، ص: ٥٦ (مع تلخيص).
(٣٤) تفسير من وحي القرآن، ج٣، ص: ٢٠.
(٣٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٥، ص: ٤٠.
(٣٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص: ٢٩٢.
(٣٧) تفسير من وحي القرآن، ج١٧، ص: ٣٣٥.

رابعـــــا: علاقة الشخصيــة بكتابة الرسالة:

الرسالة التي نريد ان نتحدث عنها هي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾[سورة النمل: ٣٠-٣١].

فمن الامور التي تكشف الشخصية او بعبارة اخرى تنعكس فيها الشخصية سلوكيا هي الرسائل، مدى الثقافة والبعد العقلي والمبدئي وغيرها. ونلاحظ ان القران الكريم لمح بكلمة «كريم» في قوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ [سورة النمل: ٢٩] الى شأن المرسل وشخصيته. والفت الى ذلك بعض المفسرين.

اذ قالت الملكة [بلقيس]: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ «أي قيم» لعله لمحتواه العميق، أو لأنّه بدئ باسم الله أو لأنّه ختم بإمضاء صحيح. أو لأنّ مرسله رجل عظيم، وقد احتمل كل مفسّر وجها منها- أو جميعها -لأنّه لا منافاة بينها جميعا. وقد تجتمع جميعها في هذا المفهوم الجامع[٣٨]، او لانه يكشف عن شخصية المرسل وقوتها وعلمها وثقتها العالية بمادئها، كما أن كونه من سليمان العظيم يستدعي كونه كريما[٣٩].

أساسا فإنّ رسالة الإنسان وكتابه دليل على شخصيته، كما أن حامل الكتاب والرّسول دليل على شخصية المرسل أيضا، يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ من ينطق عنك»[٤٠].

فمن الطريف أن مضمون هذا الكتاب لم يتجاوز في الواقع ثلاث جمل:

الأولى: ذكر «اسم اللّه» وبيان رحمانيّته ورحمته.

الثّانية: الأمر بترك الاستعلاء والغرور... لأنّ الاستعلاء مصدر المفاسد الفرديّة والاجتماعيّة.

والثّالثة: التسليم والإذعان للحق[٤١].

(٣٨) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص: ٥٧.

(٣٩) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص: ٣٥.

(٤٠) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص: ٦١.

(٤١) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص: ٦١.

وقد كان رسول سليمان عليه السلام إلى بلقيس الهدهد ورسالة الهدهد معجز والمعجز يدل على وجود الصانع وعلى صفاته ويدل على صدق المدعي فلما كانت تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة لا جرم لم يذكر في الكتاب دليلا آخر(٤٢).

خامسا: العلم والشخصية:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾ [سورة الشورى: ١٤] يقول السيد محمد حسين فضل الله: فلم ينفتحوا على العلم من القاعدة الأخلاقية التي تمتد في شخصية العالم وتمنحه روحية التواضع لله، والخضوع للحق، والانفتاح على الحوار الفكري الذي يقود إلى النتائج الحاسمة في قضايا العقيدة والحياة، بل استغرقوا في الجانب الذاتي من العلم، الذي يوحي بالأنانية، ويقود إلى الشعور المرضي بضخامة الشخصية، التي تدفعه إلى طلب مركز اجتماعيّ يرفعه إلى مقام الزعامة والرئاسة.. وعلى ضوء ذلك، تتحرك حساباته على أساس الربح والخسارة في الجانب المادي، وتنطلق العلاقات في هذا الخط، وترتكز المواقف على هذا الأساس(٤٣).

معالم الشخصية السوية في القران الكريم:

بكلمة مختصرة نعرّف الشخصية السليمة بأنها الشخصية المؤمنة حقا أي قولا وفعلا والتزاما وما عدا ذلك فنحن نوافق علماء النفس بأنه لا توجد شخصية سليمة بالمعنى الحرفي للكلمة.

و لقد حدد القرآن الكريم معالم الشخصية السليمة بعشرات الآيات متفرقة ومجتمعة نكتفي بهذه الآيات من سورة الفرقان، إذ يجد فيها كل دارس في علم النفس موضوع أطروحة «في معالم الشخصية السليمة»:

اولا: التواضع:

الشخصية السوية هي شخصية عباد الرحمن الذين لا يتكبرون ولكن يخاطبون الناس على قدر عقولهم: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ

(٤٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص٥٥٦.

(٤٣) تفسير من وحي القرآن، ج٢٠، ص١٥٨.

﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[سورة الفرقان: ٦٣].

ثانيا: الايمان:

الشخصية السويـــة هي الشخصية المؤمنة وهـذه بعض صفاتها ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[سورة الفرقان: ٦٤-٦٦].

ثالثا: الاقتصاد:

الشخصية السوية هي الوسط بين الإسراف والاقتار في الإنفاق ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[سورة الفرقان: ٦٧].

رابعا: الطاعة:

الشخصية السوية هي القانتـة التي لا تعبد إلها إلا الله وما أكثر الآلهة التي يعبدها الناس، فالنساء والبنون والمال والشهوات والطاغوت، هي آلهة أكثر الناس قديما وحديثا وليست أصنام الجاهلية فقط: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ... وَلَا يَزْنُونَ ﴾[سورة الفرقان: ٦٨].

خامسا: الانابة والتوبة:

الشخصية السوية هي الأوابة التي لا تتشبث بأخطائها وذنوبها إذا ضعفت أمام إلحاح النفس الأمارة بالسوء، بل ترجع إلى الله وتستغفره:

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤-١٣٥].

سادسا: الصدق:

الشخصية السوية هي الصادقة التي لا تكذب ولا ترتكب المعاصي التي حرمها المولى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾[سورة الفرقان: ٧٢]؛ ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء: ١١٤].

سابعا: العقل والتدبر:

الشخصية السوية هي العاقلة العالمة تتدبر آيات الله وأحكامه فتفهمها فهما سويّا نيرا علميا بالعمق، وليست تلك الشخصية المتشنجة، المتعصبة التي تفهم وتطبق أحكام الله من خلال عقدها وجهلها وتعصبها الأعمى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[سورة الفرقان: ٧٣].

ثامنا: الرحمة والشفقة:

الشخصية السوية هي الرحيمة التي تشفق على أفراد عائلتها من الضياع بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى فتعمل على أن تؤمن السكينة للزوجة والزوج والأولاد، فالعائلة هي نواة المجتمع، وبصلاحها تصلح المجتمعات ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[سورة الطور: ٢٦ -٢٧] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[سورة الفرقان: ٧٤][٤٤].

(٤٤) من علم النفس القرآني، ص: ١١٢ - ١١٣.

آيات تجمع صفات الشخصية السليمة:

هناك بعض الآيات تشتمل على صفات ومعالم الشخصية السليمة وتشير الى صفاتها التي لابد ان تشتمل عليها، ومن تلك الايا تمايلي:

اولا: ثلاث ايات من سورة الانعام، اذ نجد الشخصية السوية مجموعة في ثلاث آيات كريمة من سورة الأنعام، فليحفظها وليعمل بمضمونها كل من يريد أن يكون سويّ الشخصية: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ

وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الانعام: ١٥١ -١٥٣].

فذكرت: (عدم الشكر والاحسان بالوالدين، ورفض الجهل والجاهلية والثقة بالله وترك الفواحش والذنوب وعدم الظلم ومراعاة العدل).

ثانيا: ونجد كذلك اية تختصر صفات الشخصية السوية وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[سورة الأحزاب: ٣٥].

معالم الشخصية المريضة في القران الكريم:

للشخصية المريضة أسماء كثيرة في كتب علم النفس، إذ تدرس تحت أسماء: عصاب الشخصية، والشخصية غير المتزنة، والشخصية اللاأخلاقية، ووحاول تماشيا مع الاصطلاحات القرانية أن ندعوها نحن بـ «الشخصية المنافقة». وقد وصفها القرآن الكريم بأشمل وأوجز وأدق وصف ممكن، وكشف خبايا ميزاتها في العشرات

من الآيات الكريمة، مفصلا كل سمة من سماتها المرضية.

أ. **الشخصية المريضة بصورة إجمالية:**

للشخصية المريضة، نماذج عدة، تبعا لسيطرة إحدى السّمات المرضية فيها على بقية السّمات إلا أنه يجمعها قاسم مشترك هو فقدان الإيمان الصحيح والكامل.

و الشخصية المريضة مسئولة عن أعمالها في الدنيا والآخرة:

﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٦].

و الشخصية المريضة، هي حالة حدود بين المرض والصحة بالمعنى المتعارف عليه في علم النفس، إذ نادرا ما تشعر أو تعلم أو تعترف هذه الشخصيات بعدم اتزانها ما دامت تجد متنفسا لتنفيذ غاياتها وأهوائها ونزواتها اللاأخلاقية من خلال الأفراد

الذين تتعايش معهم، أما إذا جابهها الغير ورفض الانصياع لرغباتها ونزواتها وأهوائها المريضة، وتنبيها لنا من المولى عزّ وعلا إلى خطورة هذه الشخصيات اللاأخلاقية على المجتمع نجد في كتابه الحكيم عشرات الآيات التي رسمت صفات هذه الشخصيات، لا بل إن المولى سمى بعض السور الكريمة بأسماء بعض النماذج منها تحذيرا من خطورتها، كسورة «المنافقون» و«المطففين» و«الكافرون».

ب. الشخصية المريضة بصورة تفصيلية:

اولا: النفاق:

فهي الشخصية المنافقة ذات الوجهين: كاذبة، تتستر وراء الدين والتقى لتصل إلى مآربها الخسيسة: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٩]؛ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٢].

ثانيا: خبث السريرة:

فقد ينخدع بعض الناس بجميل مظهرها الخارجي وحلاوة أقوالها، ظاهرها جميل وباطنها فارغ أجوف عفن: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾ [سورة المنافقون: ٤]، فعن رسول الله ﷺ: «ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار»(٤٥).

ثالثا: عدم الشجاعة:

فهي الشخصية الجبانة ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [سورة البقرة: ١٩].

رابعا: المكابرة:

اذ نجدها الشخصية المكابرة، المغرورة، المتعالية التي يئست من رحمة الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٥].

خامسا: الإفساد:

من صافتها انها الشخصية التي تعيث في الأرض فسادا، وبالرغم من ذلك لا تشعر بإفسادها، بل تعتبر نفسها مصلحة:

(٤٥) محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، باب النفاق، رقم ١٢.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١١ -١٢].

سادسا: التشكيك:

هي الشخصية المشككة المرتابة بكل شيء، بالله والناس: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} (شك) ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[سورة البقرة: ١٠]؛ ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[سورة الاحزاب: ١٢]؛ ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾[سورة الانفال: ٤٩].

ولقد وردت جملة {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم وفي أكثر معانيها تعني النفوس المشككة، سيئة الظن بالمولى ورسوله والناس.

سابعا: الهمز واللمز:

الشخصية المريضة هي شخصية كل {هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}، وكل {حَلَّافٍ مَهِينٍ} وكل سفيه في القول والتصرف، وهي لا تعرف ذلك بل تسفه الإيمان الفطري السليم عند الغير: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٣].

ثامنا: التطفيف:

نحو شخصية قوم شعيب من المطففين، وما أكثر المطففين في يومنا الحاضر. ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [سورة المطففين: ٢ -٣].

تاسعا: التقتير والبخل:

فمن صفاتها انها الشخصية القتورة، البخيلة وإن تظاهرت بالعكس العكس: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾[سورة المنافقون: ٧].

عاشرا: التذبذب:

حيث انها الشخصية المتذبذبة بين الإيمان وعدمه إذ تتبع ما يتناسب مع أهوائها ورغباتها في مسألة الأوامر والنواهي الإيمانية، وتترك ما يتعارض ونزواتها الشخصية، إذ تصلي وتزني، وتنفق على الغير علنا رئاء الناس وتسرق في الخفاء وتأكل الربا: {يَكَادُ الْبَرْقُ} (هنا

بمعنى تعاليم القرآن الكريم) ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾[سورة البقرة: ٢٠].

هذا موجز من أوصاف الشخصيات المريضة في الايات القرانية(٤٦).

الخاتمـــــــــة:

لقد كان البحث في حد ذاتيه صعبا والحصول على معلومات خاصة بعلم النفس في كتب التفسير من الامور المضنية، لكننا فوجئنا ان بعض المفسرين لم يهملوا هذه الزوايا العلمية ونجد بعض المفسرين اهتم بعلم النفس ونراه يقرا الآية بشكل تقليدي وبشكل علمي معاصر وهو ما يجعل القران غض طري وعلمي في نفس الوقت. وفي نهاية هذا البحث اعرض اليكم اهم النتائج التي توصلنا لها:

١. عرفت الشخصية في علم النفس: النظام المتكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية التي تحدد ذاتية الفرد وتميزه عن غيره.

٢. عرف نمط الشخصية بأنه: سمة ملحوظة من السمات وهو نوع من التنظيم اكثر عمومية وشمولا.

٣. تعريف ازدواجية الشخصية: هو تعدد الذوات الانشقاقي أو تعدد الشخصية الانشقاقي؛ حيث أنه قد يكون هناك أكثر من شخصيتين منفصلتين عن الشخصية الأساسية.

٤. تعريف ازدواجية الشخصية عند المفسرين فقد يعرفها المفسرون- مستنطقين بذلك ايات القران الكريم-بأنها: إن هذا الكائن [الانسان] مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه)(٤٧) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾

(٤٦) مقتبس من، من علم النفس القرآني، ص: ١١٥-١١٧.

(٤٧) مضمون الايات الكريمة: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾، [سورة السجدة: ٧-٩].

[سورة الشمس: ٧-٨]، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك. ولكنها لا تخلقها خلقا. لأنهـــا مخلوقة فطرة، وكائنة طبعا، وكامنة إلهاما.

٥. اذا فتشنا في الاصطلاحات القرآنية لنجد اصطلاحا قريبا من اصطلاح الشخصية او يرادفه فقد نجـــــد اصطلاح «النفس» كما في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[سورة الفجر: ٢٧].

٦. وهناك انماط للشخصية مذكورة في القران الكريم منهـــــا: الشحيح والشكاك والمسرف والاتكالي.

والحمد لله رب العالمين